

المنهج النبوي في التربية النفسية: التفاؤل والطيرة نموذجاً

أ.د. مجاهد مصطفى بهجت (UIM)

أ.د. عفاف عبد الغفور حميد

المقدمة

الحمد لله رب العالمين خالق الإنسان في أحسن تقويم، والصلاة والسلام على المرئي الأمين المعلم المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه اجمعين، وبعد:

فيأتي هذا البحث ضمن موضوع هذه الندوة في الزمن الحرج الذي تكالب فيه أعداء المسلمين من كل حدب وصوب، لتضليل المسلمين وإبعادهم عن سنة نبيهم (ﷺ)، من منطلق إسلامي كما يزعمون وهو الاكتفاء بما ورد في كتاب الله تعالى، مما زين له شياطين الجن والأنس، وهو أمر جليل خطير أن يطرح الهدى النبوي ليسلكوا طرقاً قدداً ويبيحوا لأهوائهم ما يجانب الوحي النبوي، في الوقت الذي يعيش الغرب الفساد والضلال في أبعد حدوده بل صاروا أضل من الأنعام كما وصفهم القرآن الكريم، ولو كانت لهم عقول يتدبرون بها لاتعظوا بما ابتلي الغرب به، للنهوض من كبوتهم والإفاقة من غفلتهم.

ويأتي سبب اختيار موضوع البحث في أن مسألة الفأل والطيرة مما يواجهه كل الناس على اختلاف دياناتهم وأعراقهم وثقافتهم، وقد شاب الموضوع شئ من الموروثات القديمة التي تصل إلى حد الخرافة والأساطير، فكان لا بد من بيان المنهج النبوي لتربية الأجيال المسلمة على ممارسة التفاؤل والإيجابية وعدم التطير، بل حسن التوكل والثقة بالله وقدره، ولا شك أن جديد هذا البحث في إعادة الأمور إلى نصابها بالرجوع إلى مصدرية السنة النبوية في التعامل مع تحديات الحياة اليومية، وعدم التراجع والتقهر في هذه الظروف يائسين قانطين، بل لا بد أن نكون متفاعلين ومتفاعلين مع مواقف الحياة المختلفة، مقتدين بالهدى النبوي بالسلوك الإيجابي مع مفردات الحياة الصعبة والعسيرة.

ويهدف البحث إلى بيان رعاية السنة النبوية بتربية الصحابة (رضي الله عنهم) على تنمية قدرتهم في النظر والتأمل والتفكير والتدبر، وفي ذلك توجيه للمسلمين في كيفية التصرف إزاء القضايا النفسية المرتبطة بالعقيدة وهي الفأل والطيرة، وهذا هو الذي يؤهلهم لحمل أعباء الدعوة إلى الله، فالعقل إحدى طاقات الإنسان المهمة الذي يحقق التفكير الإيجابي ليكون الإنسان متفائلاً بالخير وإن كان في أحلك الظروف والأحوال.

وتكمن أهمية البحث لتعلق هذا الموضوع بالعقيدة الإسلامية في تحرير العقل من الموروثات السلبية تطيراً، وحسن الظن بالله تعالى في تجاوز العقبات وتخطي الصعوبات، للنظر إلى المستقبل نظرة تفاؤل.

وتظهر إشكالية البحث في الالتفات إلى التربية النفسية في المنهج النبوي لبناء جيل الصحابة أولاً بناءاً سوياً، سليماً قوياً يجابه الصعوبات والتحديات في الحياة بالتحلي بالإيجابية وترك السلبية، والتعامل مع الظروف بصورة صحيحة تبرز القدرة على حلّ لكل صعب وعسير في الحياة.

والمنهج المتبع في البحث هو المنهج الوصفي المكتبي المعهود في الدراسات الإسلامية والإنسانية، وهو كذلك المنهج الاستقرائي في الوقوف على نصوص الحديث النبوي وتحليلها.

ومن أهم الدراسات السابقة لموضوع بحثنا ما يأتي:

١- بحث: الأحاديث النبوية الواردة في الفأل جمعاً ودراسة، د. عمر بن إبراهيم بن محمد نور سيف، منشور في مجلة تعظيم الوحيين، العدد الثاني، رجب ١٤٣٩ هـ، وقد اقتصر البحث على سرد الأحاديث الواردة في الموضوع ودراستها من حيث القبول والرد، كالصحيح والحسن والضعيف بأنواعه مع شيوعتها، وقد أفدت من النصوص لكن البحث لم يركز على تحليل معاني النصوص.

٢- بحث: الطيرة والتشاؤم في الكتب الستة، علي محمد زينو، منشور على شبكة الأنترنت (موقع الألوكة)، ذكر ما جاء من أحاديث الطيرة والتشاؤم في الكتب الستة، واهتم باختيار العناوين التي اندرجت تحتها هذه الأحاديث في كتبهم للكشف عن العلاقة بينهما، مع بيان مختصر لبعض معاني هذه الأحاديث.

٣- كتاب: التربية في السنة النبوية، د. أبو لبابة حسين، ط منشورات دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، دت، وقد تناول فيه عناصر التربية الإسلامية وخصائصها، وأهدافها، بشكل عام مختصر، مع بيان مبدأ التربية في الطفولة، دون أن يتطرق للتربية النفسية وموضوع الفأل والطيرة.

وأخيراً تأتي خطة البحث في المقدمة والتمهيد والخاتمة في محورين: الأول: سمات المنهج النبوي التربوي في التربية النفسية عامة، والفرق بينه وبين المناهج الوضعية. الثاني: منهج النبي (ﷺ) في تربية الصحابة على ممارسة حب الفأل ونبذ الطيرة. الخاتمة: نتائج البحث والتوصيات.

نسأله تعالى أن يكون البحث قد حقق الهدف المرجو منه، وأن يتقبل الله صالح أعمالنا، وأن يوفقنا جميعاً لما يحبه تعالى ويرضاه، والحمد لله رب العالمين.

التمهيد: التعريف بمفردات عنوان البحث

نعرض لمعنى المفردات الواردة في عنوان البحث لغة واصطلاحاً وهي المنهج والتربية النفسية، والفأل والطيرة:

١- المنهج والتربية النفسية لغة واصطلاحاً:

المنهج والتربية لغة واصطلاحاً:

أ- المنهج لغة: مصدر (نَجَّح) طريق نَجَّح بين واضح... وأنجح الطريق: وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيناً، "الطريق الواضح البين، والمنهاج في الدين: الطريق البين لا لبس فيه، ولا إبهام ويستمر عليه الناس ويسيروا"^٢.

وقال الجوهري: النهج الطريق الواضح، وكذلك المنهج والمنهاج... ونهجت الطريق: إذا أبنته وأوضحته، يقال: اعمل على ما نهجت لك.^٣

واصطلاحاً: عرفه المعاصرون لكونه مصطلحاً حديثاً فقالوا: "هو الطريق المستقيم الواضح المعالم، القائم على قواعد علمية صحيحة، الموصل إلى الحقيقة"^٤. أو "هو مجموع القواعد العامة والخطوات والقوانين المنظمة التي تحكم عمليات العقل خلال البحث والنظر في مجال معين"^٥.

التربية لغة: تقول العرب: ربيته تربية بمعنى غذوته^٦، أي توفير حاجات الإنسان من الطعام والشراب حتى يكتمل جسمه... ثم استعيرت عبارة التربية للتعبير عن تغذية العقل والإحساس والروح والوجدان، وهي معان تجعل من الإنسان كائناً متميزاً له تقاليد وأصوله المرعية التي تقوم على الذوق السليم^٧، فنجد كلمة التربية تحتل معاني كثيرة، فقد يقصد بها الزيادة والنمو والعلو، وبمعنى النشأة أو رعاية الشيء كما قال تعالى: ﴿وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]، وتأتي بمعنى التزكية والتعليم والتهديب.

^١ انظر، ابن منظور، مُجَدِّدُ بِنِ مَكْرَم (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ٣٨٣/٢.

^٢ مجمع اللغة، معجم ألفاظ القرآن الكريم، القاهرة: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٠هـ، ٣٧٥/٢، ط ٢

^٣ الجوهري، أبو نصر اسماعيل بن حماد، (ت ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: إميل يعقوب و مُجَدِّدُ طَرِيفِي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠م/١٩٩٩م، ج ١، ص ٥١٢

^٤ رمضان يوسف عبد الهادي الصيفي، منهج القرآن في التعامل مع جرائم اليهود، رسالة ماجستير كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٩م ص ٤.

^٥ زكية مازغ، المنهج النبوي التربوي، موقع مغرس.

^٦ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط ٢، مصطفى الحلي، ١٣٧١هـ، ٣٣٤/٤.

^٧ أبو لبابة حسين، التربية في السنة النبوية، ص ٥.

وإصطلاحاً: "صياغة سلوك الفرد المسلم وشخصيته حسب مبادئ الإسلام وأفكاره وهذه المبادئ تقوم على الاعتقاد والعمل"^١.

وعرّفها أحد الباحثين "بأنها عملية تنمية وتنشئة وتزكية وتهذيب لجميع جوانب الفرد الجسدية والعقلية والروحية والنفسية خلال مراحل عمره المختلفة، مع الاعتماد على المبادئ والقيم التي أتى بها الإسلام، للوصول للكمال الإنساني المنشود بحسب قدرة الفرد واستعداداته بهدف تحقيق السعادة في الدارين"^٢.

ب- النفسية لغة: من كلمة نفس وتأتي بعدة معانٍ، منها: الروح كونها ما يقابل البدن، والجسد، والدم، والعين التي تصيب الغير، والعند كما في قوله تعالى: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦].^٣

وإصطلاحاً: النفس: هي القوى الكامنة في الجسم الإنساني والتي هي مجمع عواطف الخير ونوازع الشر، ومستقر الغرائز، والنزعات والعواطف والشهوات المحركة لهذا الجسم المادي واتجاهه"^٤.

فالتربية النفسية: هي حركة تربوية تهتم بمشكلات التوافق للفرد وتحقيق أقصى ما يمكن من احتياجاته النفسية والحسية وتدريبه على العيش السعيد اجتماعياً ووجدانياً"^٥.

٢- الفأل والطيرة لغة وإصطلاحاً:

أ- الفأل لغة: قول أو فعل يستبشر به، وقد تخفف الهمزة وتسهل فيقال: الفال، ضده شؤم، وقرأ الفأل: تنبأ بالمستقبل، وقولهم: لا فأل عليك: دعاء معناه: لا ضير ولا شر عليك"^٦.

أو هو التيمن بما يرى أو يسمع من أمر حسن، أو اسم حسن، أو كلام حسن، وتوقع الخير كأن يكون الرجل مريضاً فيسمع آخر يقول: يا سالم، أو يكون طالب ضالة فيسمع آخر يقول: يا واجد، فيقول: تفاءلت بكذا، ويتوجه له

¹ عثمان حسن ملا، تربية الإنسان المسلم، القاهرة: دار الصحوة ١٩٨٤م، ص ١٥-١٦.

² الشهري، عزة، مبادئ التربية النفسية في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه ص ٢٩.

³ راجع تفاصيل هذه المعاني في الأحاديث الواردة في الصحة النفسية، جمعاً ودراسة، رسالة ماجستير ص ٨.

⁴ العطار، عبد الخالق، النفوس المطمئنة الزكية، والنفوس الشيطانية الأمارة الشقية في ضوء القرآن والسنة، القاهرة: جمعية السلام الإسلامية، ١٩٩١م، ص ١٣.

⁵ راجح، أحمد عزت، أصول علم النفس، ط ١، الاسكندرية: المكتب المصري، ١٩٨٢م، ص ٥٠٤.

⁶ مادة فأل في معجم المعاني الجامع، والمعجم الوسيط.

فيظنه - كما سمع - أنه يبرؤ من مرضه، أو يجد ضالته، والفأل يكون فيما يحسن وفيما يسوء، ومن العرب من يجعل الفأل فيما يُكره أيضاً، والفأل الصالح كما في الحديث: «الكلمة الحسنة»¹.
وقال الزمخشري: "الفأل والطيرة جاءا في الخير والشر؛ مجيء الطيرة في الشر واسع، لا يفتقر فيه إلى شاهد، إلا أن استعمال الفأل في الخير أكثر"²، وقال ابن الأثير: "الفأل - مهموز - فيما يسر ويسوء"³.
الفأل اصطلاحاً: عرفه أبو بكر بن العربي في اصطلاح الشرع فقال: "الفأل: هو الاستدلال بما يسمع من الكلام على ما يريد من الأمر إذا كان حسناً، فإن سمع مكروهاً فهو تطير؛ أمره الشرع بأن يفرح بالفأل وبمضي على أمره مسروراً، وإذا سمع المكروه أعرض عنه ولم يرجع لأجله"⁴.

ب - الطيرة لغة واصطلاحاً:

الطيرة لغة: ما يتشاءم منه بكسر الطاء، من التطير وهو التشاؤم، وسمي التشاؤم بما لأن العرب كانوا أكثر ما يتشاءمون من الطيور، كالغراب أو البوم أو العقعق وغيرها، بل من كل الطيور، وذلك إذا سارت في اتجاه معين، ولذا غلب الاسم عليه، وقيل ما يتفاءل به أو يتشاءم منه⁵.
واصطلاحاً: قال القراني في اصطلاح الشرع: "التطير: هو الظن السئ الكائن في القلب، والطيرة: هو الفعل المرتب على هذا الظن من فرار أو غيره"⁶.

وأما عند علماء الشريعة فقد قال الإمام القرطبي: الطيرة أن يسمع الإنسان قولاً، أو يرى أمراً يخاف منه ألا يحصل له غرضه الذي قصد تحصيله⁷، وقال النووي: والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، قالوا: وقد يُستعمل مجازاً في السرور⁸.

المبحث الأول: سمات المنهج النبوي التربوي في التربية النفسية عامة، والفرق بينه وبين المناهج الوضعية.

اعتنى الإسلام بالعقيدة أولاً، ليكون العمل فيما بعد مبنياً على عقيدة صحيحة، لذا نرى القرآن الكريم في نزوله الأول أكد قضية الإيمان بكل أركانها في سور كثيرة وبأساليب متنوعة، فالعمل بعد ذلك يترتب على الاعتقاد ترتب النتيجة

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الفأل، ٤/٤٦، رقم (٥٧٥٦).

² الفائق في غريب الحديث ٣/٨٦.

³ النهاية في غريب الحديث ٣/٤٠٥.

⁴ ابن العربي، أحكام القرآن، ٤/١٢٦.

⁵ راجع مادة طير في معجم اللغة العربية المعاصر والمعجم الوسيط.

⁶ القراني، الفروق، ٤/١٣٦٧.

⁷ الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي (٦٥٦ هـ)، ملفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، حققه وعلق عليه: محيي الدين ديب مستو، يوسف علي

بديوي، أحمد مجد السيد، محمود إبراهيم بزّال، دار ابن كثير دمشق بيروت، دار الكلم الطيب دمشق بيروت. ط ١: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

⁸ النووي، شرح صحيح مسلم، دار ابن كثير دمشق بيروت، دار الكلم الطيب دمشق بيروت. ط ١: ١٤١٧هـ/١٩٩٦م. ، ٥/٦٢٦.

على السبب، فيظهر ذلك في تهذيب السلوك وتزكية النفس والسمو بها نحو المثل الأعلى، فإذا ما فقد الإيمان أو اهترت فقدت السيطرة على السلوك، وانقادت العقول إلى كل صيحة ودعوة وإن كانت سيئة العواقب، ولذا نجد النبي ينفي الإيمان عمّن لا أمانة له، فقال: «لا إيمان عمّن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»¹، كما جعل كل القيم الفاضلة من لوازم الإيمان، كصلة الرحم وإكرام الضيف، وحسن الجوار، وهكذا فإن عدم الالتفات إلى أهمية العقيدة في المناهج التعليمية والتربوية يؤدي إلى خلل واضطراب المفاهيم، ومصادمة الفطرة، وذهاب الفضائل والقيم.

وأقام الإسلام نظامه الاجتماعي على قيم تربوية أخلاقية هي مهمة الرسالة المحمدية، فكان الرسول ص هو المرئي الأول الذي قام بهذه المهمة منذ اللحظة الأولى، فالقرآن والسنة هما لحمه وسدى البناء التربوي الإسلامي، الذي طبّقه الرسول ومن بعده الصحابة ومن بعدهم من الصالحين، فكان المثل الأعلى في التربية والتعليم، ولكي ينتفع المسلمون منه أمرهم الله تعالى أن يتخذوه أسوتهم ومثلهم فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

ومن جملة التربية النبوية التربوية النفسية، فكما قام الرسول ﷺ بتشخيص الأمراض البدنية ووصف العلاجات المناسبة، شخّص الأمراض النفسية كذلك، وفرّق بينهما كالغمّ والكرب والحزن والأرق والقلق وغير ذلك كما بين العلاج والوقاية منها. ونجد مبادئ هذه التربية في القرآن وتطبيقاتها في السنة النبوية تعتمد على حقائق مكونات النفس الإنسانية، وتتم بإزالة العقبات التي تعيق النمو النفسي السليم، وتبني معارف حول إعداد وتهذيب وتزكية مكونات النفس خلال مراحل نموها للرفقي بها وصولاً لتكامل الشخصية، مراعية لقدرات الإنسان التي أودعها الله فيه².

فالتربية عملية إعداد للنفس الإنسانية بجوانبها المتعددة ومراحلها المختلفة، وهي أشبه بالبناء العمراني فكل مرحلة تعتمد على قوة واتزان المرحلة التي سبقتها، ويبنى عليها المرحلة التي تليها، ولا بد من الإشارة إلى أن الجانب الروحي المرتبط بالعقيدة الإسلامية هو أهم مكون للنفس الإنسانية وتعتمد عليها بقية المكونات، وكذلك الجانب العقلي وتحريره من الخرافات والأباطيل، وهو موضوع البحث حيث يدور حول التفاؤل والطيرة، وقد اهتمت السنة النبوية بما اهتمت بذلك، وكان لتوجيهاته الأثر الكبير في نشئة جيل على أسس سليمة وبناء سليم.

وللمنهج النبوي سمات وخصائص يتميز بها عن غيره يمكن إجمالها بما يأتي:

¹مسند الإمام أحمد، 3/210، 335، 354 رقم (47)، والحديث ضعيف ولكن جاء من طرق كثيرة وبمجموعها فهو صحيح. انظر: موقع الشيخ ظافر الجيعان.

²أنظر: عزة الشهري، ص 33

أولاً: مراعاة المخاطبين بالتدرج والإقناع

كان رسول الله ﷺ يراعي حال المخاطب من جوانب متعددة مثل العمر وطول الصحبة معه وغير ذلك، فيخاطب كلاً منهم ما يناسبه ويلبي حاجته، لأن الناس يختلفون في مداركهم وحاجاتهم وسرعة استجابتهم، فقد يجيب رسول الله ﷺ على سؤال واحد بأجوبة متعددة مراعيًا طبيعة السائل، فقد سأله الكثير: أوصني، فيجيب بأجوبة مختلفة مثل: لا تغضب، وقوله لأبي ذر ر: «أوصيك بتقوى الله؛ فإنها زين لأمرك كله». وهكذا ندرك أن "مراعاة مستوى المخاطبين الذهني والأخلاقي واتجاهاتهم السياسية والاعتقادية ونحوها، من الدعائم الأساسية لنجاح مخاطبتهم في أداء مهمته، فإن هذه المراعاة تكون أؤكد بالنسبة للتربية والتعليم»¹.

يقوم المنهج النبوي في التربية والتعليم على التدرج ومراعاة الحال على خطى القرآن في التدرج في بعض أحكام التشريع، وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما في بعث النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن قال: «إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؛ فإن هم أطاعوا ذلك فأعلمهم أن الله افترض..... الحديث»².

- وإن من التدرج ومراعاة الحال في التربية والتعليم عدم تقديم ما حقه التأخير، وأن يُخصَّ بالعلم أناسٌ دون غيرهم مراعاةً للفهم وتقديراً للمصالح. روى البخاري في صحيحه قال: (باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا) وذكر تحته حديث أنس رضي الله عنه قال: ذُكر لي أن النبي ﷺ قال لمعاذ: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة» قال: ألا أبشر الناس؟ قال: لا؛ إني أخاف أن يتكلموا»³.

كما كان رسول الله ص ينهج وسيلة الإقناع مع السائل روى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، وُلِدَ لي غلام أسود، فقال: هل لك من إبل؟ قال: نعم! قال: ما لوئها؟ قال حمر. قال: هل فيها من أورك؟ قال: نعم! قال: فأنتي ذلك؟ قال: نزع عرق. قال: فلعل ابنك هذا نزع عرق»⁴. والملاحظ هنا في الإقناع النبوي الاستفادة من البيئة المحيطة، وكذا الاستفادة من البدهيات التي يؤمن بها المخاور، وهذا في حد ذاته من مؤكدات الإقناع.

وكان ﷺ ينهج في تقوية سلوك ما بما يتناسب مع الموقف ومع حجم الخطأ وطبيعته، فحين يكون السلوك السلبي في حق الشرع تجده يستخدم لغة صريحة وصارمة، وقد جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ص أدرك عمر بن الخطاب

¹ أبو لبابة حسين، التربية في السنة النبوية، ص 67.

² رواه البخاري في كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، ٥٤٤/٢، برقم (١٤٢٥) ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، ٥٠/١، رقم (١٩).

³ رواه البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا، ٤٤/١، رقم (١٢٩)، ومسلم في كتاب الإيمان رقم (٣٢)

⁴ أخرجه البخاري في كتاب الطلاق، باب إذا عرض بنفي الولد برقم (٤٩٩٩)، وكتاب الأشربة برقم (٥٣٠٥) ومسلم في اللعان برقم (١٥٠٠)، والرجل هو ضمضم بن قتادة رضي الله عنه، والأورك: الأغبر الذي في لونه بياض إلى سواد.

رض هو يسير في ركب يحلف بأبيه فقال: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم، من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت»¹، وفي المقابل كان يتسامح مع من يخطئون في حقه من جفاة الأعراب، ويستعمل لغة بسيطة مع الصبيان بما يتناسب مع قدراتهم الاستيعابية.

من سمات المنهج النبوي تربية الناس على صحة المقصد فيه، وإذا كان ذلك يصدق على كل العلوم عامة فهو أكثر إلزاما في العلوم الشرعية، والخلل في هذا المنهج يضيع العمل ويذهبه، يقول في ذلك رسول الله ﷺ: «من تعلم علما ينتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة»² أي: ربحها.

ثانيا: اليسر ورفع الحرج وحسن التعامل

وهي سمة أكد عليها القرآن الكريم وامثلها الرسول ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، فالمنهج التربوي النبوي يأخذ بمبدأ المرونة في كل شيء، فيكون منسجما مع الفطرة البشرية التي تنفر من التضيق والعسر، ونرى الرسول ﷺ ينتقل بالمسلم من العزيمة إلى الرخصة عند الضرورة وأصل المبدأ: (الضرورات تبيح المحظورات) ومن ذلك قوله ﷺ: (إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه)، كما كان ينهى عن التشدد في الدين «لا تشددوا فيشدد عليكم، فإن قوما شددوا على أنفسهم، فشدد الله عليهم، فتلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم»³.

ولهذا المنهج مظاهر كثيرة في سنة النبي ﷺ منها الإشفاق على النفس وعدم تحميلها ما لا تطيق، فعنه ﷺ: «ما خير رسول الله بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما»⁴ ويقول: «ما نهيتكم عنه فاجتنبوه، وما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم»⁵، وذلك لأن كثرة التكاليف فيها إخراج، وقد سكت الشرع عن أشياء كثيرة رحمة بالناس، كما نهى الرسول ﷺ عن كثرة السؤال كي لا يترتب عليها مزيدا من التكاليف التي قد لا يطيقونها.

¹ البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب لا تحلفوا بأبائكم، رقم (٦٢٩٩/٨) (٦٦٤٧) ٥٣٩/١١، ومسلم في كتاب الإيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله، ١٢٦٧/٣ برقم (٣٢٠٧) ١٦٤٦

² أخرجه أبو داود في «العلم» باب في طلب العلم لغير الله تعالى (٣٦٦٤)، وابن ماجه في «المقدمة» باب الانتفاع بالعلم والعمل به (٢٥٢)، من حديث أبي هريرة روى عنه. والحديث صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٥٣/١) برقم: (١٠٥).

³ رواه أبو داود في سننه عن أنس ابن مالك رضي، كتاب الآداب، باب في الحسد، رقم (٤٣٢١)

⁴ أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب صفة النبي - ﷺ، ١٨٩/٤، رقم (3560) ومسلم في كتاب الفضائل، باب باب مَبَاعَدَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَثَامٍ وَاجْتِنَابِهِ مِنَ الْمُبَاحِ أَسْهَلَهُ...، ١٨١٤/٤، رقم (٢٣٢٨).

⁵ رواه البخاري (٧٢٨٨) ومسلم (١٣٣٧)

كما نلاحظ أن كل ما جاء في المنهج التربوي ملائم للفطرة متماشيا معها، والأمثلة على ذلك كثيرة في تطبيقها العملي من سنة النبي ﷺ.

ومن اليسر ورفع الحرج حسن تعامله ﷺ مع الآخرين، فقد كان رسول الله ﷺ يرحب بمن يقابله مما يجعل النفوس تنجذب إليه وتأنس بحديثه، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد عن صفوان بن عسال رضي الله عنه قال: يا رسول الله، إني جئت أطلب العلم. فقال له النبي ﷺ: «مرحباً بطالب العلم؛ إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها، ثم يركب بعضهم على بعض حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب...»¹.

ولقد كان النبي ﷺ يستقبل الوفود ويحسن وفادتهم، ويتخذ لذلك لباساً خاصاً وخطيباً يخاطب بين يديه إشعاراً منه بمزيد الاهتمام بهم؛ فلما أتى وفد عبد القيس رحب بهم ﷺ، فقال: «مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامى...»²، وقدم وفد عبس على النبي ﷺ وكانوا تسعة، فقال النبي ﷺ: «أنا عاشركم. وعقد لهم لواءً وجعل شعارهم «يا عشرة»»³.

ثالثاً: الحكمة في النصيح والإرشاد

ضرب رسول الله ﷺ مثلاً أعلى في التعامل باللين والرفق والتسامح والرفقة في معالجة القضايا الفردية والجماعية، وهو كما وصفه الله تعالى في القرآن الكريم ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، ومن ذلك مقابلة الإساءة بالإحسان ممثلاً قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ فصلت: ٣٤، وانظر إليه ﷺ وقد جلس في مجلس مبارك يحيط به أصحابه، فيأتيه أعرابي يستعينه في دية قتل... فأقبل يريد من الرسول ﷺ أن يعينه بمال يؤديه إلى أولياء المقتول... فأعطاه الرسول ﷺ شيئاً... ثم قال تلطفاً معه: "أحسنْتُ إليك؟" قال الأعرابي: لا... لا أحسنت ولا أجملت. فغضب بعض المسلمين، وهموا أن يقوموا إليه، فأشار النبي ﷺ إليهم أن كفوا، ثم قام ﷺ إلى منزله، ودعا الأعرابي على البيت فقال له: «إنك جئتنا فسألنا فأعطيناك... فقلت ما قلت" ثم زاده ﷺ من مال وجده في بيته، فقال: «أحسنْتُ إليك؟" فقال الأعرابي: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً"، فأعجبه صلى الله عليه وسلم هذا الرضا منه، لكنه خشي أن يبقى في قلوب أصحابه شيء على الرجل، فإراه أحدهم في طريق أو

¹ رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٥٥/١) وصححه إسناده المحقق (أبو الأشبال). والهيتمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد « كتاب العلم » باب في طالب العلم وإظهار البشر له (٥٥٠)

² رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان، (٥٣)، وكتاب المغازي، باب وفد عبد القيس، (٤٣٦٨، ٤٣٦٩)

³ البداية والنهاية ١٠٣/٥

سوق فلا يزال حاقدا عليه، فأراد أن يسئل ما في صدورهم، فقال له ﷺ: «إنك كنت جئتنا فأعطيناك، فقلت ما قلت، وفي نفس أصحابي عليك من ذلك شيء، فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي، حتى يذهب عن صدورهم، فلما جاء الأعرابي قال: «إن صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه، فقال ما قال، وأنا قد دعوناه فأعطيناه، فزعم انه قد رضي"، ثم التفت إلى الأعرابي وقال: "أأكذلك؟" قال الأعرابي: نعم. فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً، فلما هم الأعرابي أن يخرج إلى أهله، أراد ﷺ أن يعطي أصحابه درسا في كسب القلوب، فقال لهم: "إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه، فاتبعها الناس (يركضون وراءها ليمسكوها) وهي تهرب منهم فزعاً، ولم يزيدوها إلا نفورا، فقال صاحب الناقة: خلوا بيني وبين ناقتي، فأنا أرفق بها، وأعلم بها... فتوجه إليها صاحب الناقة فأخذ لها من قنাম الأرض، ودعاها حتى جاءت واستجابت، وشدّ عليها رحلها، واستوى عليها، ولو أني أطعتمكم حيث قال ما قال، دخل النار" «يعني لو طردتموه لعله يرتد عن الدين فيدخل النار»، وكثيراً ما كان النبي ﷺ يصدق القول للعمل ليكون المتلقي أكثر فهما وتقبلاً، والأمثلة كثيرة كحديث المسئ في صلاته.

لقد جعل النبي ﷺ الرفق سبباً من أسباب الكمال والنجاح؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه»^٢. وفي حديث جرير بن عبد الله عن رسول الله ﷺ قال: «من حرّم الرفق حرّم الخير».

وتتأكد الحاجة إلى الرفق والرحمة عند وقوع الخطأ غير المتعمد؛ لأن النفوس أحياناً قد يستثيرها الخطأ فتتسى التعامل معه بالرحمة والرفق، وتميل بقوة إلى الردع والتأديب؛ فعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: «بيننا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ؛ إذ عطس رجلٌ من القوم، فقلت: رحمك الله. فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واأكل أمي! ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم؛ فلما صلى رسول الله ﷺ: فبأي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه؛ فوالله ما نهرني ولا ضربني، ولا شتمني، قال: إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وتلاوة القرآن»^٣.

إن التعامل بالرفق والرحمة يورث النفس نوعاً من الطمأنينة والهدوء، ويجعل تفهم المشكلة والتعامل معها أكثر نجاحاً وتحققاً للأهداف بخلاف ما لو صحب ذلك نوعٌ من التوتر.

^١ محمود المصري، ليلة في بيت النبي ﷺ، ٢٣٤.

^٢ رواه البخاري في كتاب الأدب، بالرفق في الأمر كله، رقم (٣٦٩٥) ومسلم ٦٣٤/٣ (٢٥٩٣)

^٣ رواه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة «باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ... ٣٨١/١، رقم (٥٣٧)

الرفق واللين والرحمة سمات ثابتة في الهدى النبوي لا تكاد تفتقد لها وأنت تطالع السيرة؛ كيف لا وقد وصفه الله تعالى بقوله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. بينما تجد الشدة والزجر تكون أموراً عارضة لأحوال عارضة ناسب أن يتعامل معها النبي ﷺ بمثل هذا الأسلوب.

رابعا: الاستفادة من الأحداث والوقائع للتوجيه

تتجدد الحوادث مع مرور الأيام في حياة البشر، والمربي يغتنم تلك الأحداث في التوجيه والتربية، وكان هذا حال النبي ﷺ مع صحابته، ففي كل حال ومشهد إما أن يعلق بالتوجيه، أو ينصح أو يعمل ما ينبغي عمله، وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قدم على النبي ﷺ سبي؛ فإذا بامرأة من السبي تبغي، إذا وجدت صبياً في السبي، أخذته فألصقته بطنها وأرضعته، فقال لنا رسول الله ﷺ: «أترون هذه المرأة طارحةً ولدها في النار؟ قلنا: لا، والله! وهي تقدر على أن لا تطرحه، فقال رسول الله ﷺ: لئن أرحم بعباده من هذه بولدها^١. فالرسول ﷺ لم يترك المشهد دون تعليق، بل رآه فرصة للتوجيه بسعة رحمة الله تعالى، وحق الوالدين في آن واحد.

وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: «كنا جلوساً ليلة مع النبي ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته؛ فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب، فافعلوا» أنجد هنا الرسول ص كان له أكثر من توجيه لرؤية القمر، وهي التأكيد على مسألة عقديّة هي رؤية الله تعالى من قبل أهل الجنة والتذكير بالصلاة وعظمتها، والتذكير بقيمة الجمال ومحبة الناس له^٢. (كانت الشخصية المسلمة تصاغ. ويوماً بعد يوم، وحدثاً بعد حدث، كانت هذه الشخصية تنضج وتنمو وتتضح سماتها...)^٤.

لقد كان ص يغتنم كل موقف أو حدث يلاحظه ليقوم كل سلوك سلبى ولو كان ذلك أمام الناس فذلك درءاً للمفسدة المترتبة عليه، فقد جاء عن عبد الله بن بسر أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ وهو يخطب الناس يوم الجمعة فقال: "اجلس فقد آذيت وآنيت"^٥ وكان من هديه ﷺ المسارعة إلى تقويم السلوك السلبى فوراً بشكل يعكس دقة ملاحظته،

^١ أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، رقم: (٥٩٩٩)، ومسلم، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، رقم: (٢٧٥٤).

^٢ رواه البخاري في كتاب التوحيد رقم (٧٤٣٤) و(٥٥٤)، ومسلم رقم (٦٣٣).

^٣ الشيخ إبراهيم بن صالح الدحيم، أساليب نبوية في التربية، مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند، محرم - صفر ١٤٣٧ هـ، أكتوبر/ديسمبر ٢٠١٥م، العدد: ١ - ٢، السنة: ٤٠.

^٤ محمد أمزون، منهج النبي ﷺ في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة، ص ٢١١.

^٥ رواه الإمام أحمد، ١٨٨/٤ برقم (١٩٠، ١٧٦٧٤)، وقال المحقق الشيخ شعيب: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه، أبو داود، سننه، كتاب الصلاة، باب تخطي رقاب الناس يوم الجمعة رقم، والنسائي كتاب الجمعة، باب النهي عن تخطي رقاب الناس والإمام على المنبر...، ١٠٣/٣، (١١١٨) وابن ماجه سنن

حتى لا تصبح عادة راسخة يصعب علاجها، كما أنه مكلف بذلك من الله، ومن الطبيعي تدخله لتقويم سلوك لو تأخر يضعف التأثير ويقلل من فرصة النجاح¹.

خامسا: دعوته للنظر والتفكير وتحمل المسؤولية

لقد اهتمت التربية النبوية بتربية الصحابي على تنمية قدرته في النظر والتأمل والتفكير والتدبر، لأن ذلك هو الذى يؤهله لحمل أعباء الدعوة إلى الله، فالعقل يعتبر إحدى طاقات الإنسان المهمة، وقد جعله المولى عز وجل مناط التكليف، كما يعتبر العقل نعمة من الله على الإنسان يتمكن بها من قبول العلم واستيعابه، ولذلك وضع القرآن الكريم منهجا لتربية العقل سار عليه رسول الله ﷺ لتربية أصحابه.

ومن أهم نقاط هذا المنهج: تجريد العقل من المسلمات المبنية على الظن والتخمين أو التبعية والتقليد. ومنها: إلزام العقل بالتحري والتثبت. ومنها: دعوة العقل إلى التدبر والتأمل في نواميس الكون. ومنها: دعوة العقل إلى التأمل في حكمة ما شرع الله لعباده من عبادات ومعاملات وأخلاق وآداب وأسلوب حياة كامل في السلم والحرب والإقامة والسفر، لأن ذلك ينضج العقل وينميها، وتعرفه على تلك الحكم يعطيه أحسن الفرص ليطبق الشرع الرباني في حياته، ولا يبغى عنه حولا، لما فيه من السكينة والطمأنينة والسعادة والبشرية، ولأن الله سبحانه وتعالى إنما شرع ما شرع لذلك. ومنها: دعوة العقل إلى النظر في سنة الله في الناس عبر التاريخ البشري: ليتعظ الناظر ويتأمل في سنن الله في الأمم والشعوب والدول.

وقد وجه الرسول ص الصحابة لتحمل المسؤولية مما يجعلهم يوظفون ما عندهم من طاقات لخدمة الإسلام، فكل ميسر لما خلق له قال رسول الله ﷺ: «كلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته؛ الإمام راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤولٌ عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته، والخدام راعٍ في مال سيده ومسؤولٌ عن رعيته، وكلكم راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته»².

ولذا ساهم الصحابة كل حسب طاقته رجالا ونساء في خدمة دينهم فمنهم من أيدى في المعارك وفي رعاية الجرحى، ومنهم من ساهم بالمال والجهد، وكان ﷺ يستخلف من يجده مؤهلا على المدينة حين يخرج للغزوات، وقد يولي

ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في النهي عن تخطي الناس يوم الجمعة (١١١٥). وصححه ابن خزيمة (١١١٨) وابن حبان (٢٧٩٠) والحاكم (٢٨٨/١). وصححه الألباني في صحيح أبي داود. قوله: آذيت (أي الناس بتخطيك) (وآذيت) كآذيت وزنا أي أخرجت المحميء وأبطأت¹ المنهج النبوي في تقويم الأخلاق والسلوك: رسالة ماجستير ص ١٥٣-١٥٤.

² أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، برقم (٨٩٣)، ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، برقم (١٨٢٩).

أحدهم قيادة الجيش في السرايا التي يبعثها، وقد ولي أسامة بن زيد قيادة الجيش الذي وجهه لقتال الروم ولم يبلغ العشرين من العمر.

وكان رسول الله يشجع الصحابة بالثناء على سلوك معين، مما يكون باعثا على الحرص والالتزام وتحمل المسؤولية، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: جاء أهل نجران إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسول الله، ابعث إلينا رجلاً أميناً، فقال: لأبعثن إليكم رجلاً أميناً حق أمين، حق أمين. قال: فاستشرف لها الناس، قال فبعث أبا عبيدة بن الجراح «وفي رواية» فأخذ بيد أبي عبيدة فقال: «هذا أمين هذه الأمة»¹. وقال صلى الله عليه وسلم: «أبا المنذر، أي آية معك من كتاب الله أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: أبا المنذر، أي آية معك من كتاب الله أعظم؟ قال: قلت: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢] قال: ف ضرب صدري، وقال: لِيَهْنَكَ يا أبا المنذر العلم»².

نخلص مما تقدم إلى استبطاء الفرق بين المنهج النبوي والوضعي في التربية من عدة وجوه:

الأول: ربانية المنهج النبوي: فالمنهج النبوي تشريع يستمد قوته كونه مرتبط بالوحي وهو ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ {٣} إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ﴾ [الجن: ٣-٤]، وهذه الربانية تمنحه صفة الثبات وعدم التقلب والتأرجح، وتلزم المسلم بطاعة الرسول لأنها من طاعة الله تعالى القائل: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، والله تعالى بعثه معلما ومرييا بشيرا ونذيرا، هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]، كما أنه معصوم بنص القرآن الكريم

ثانيا: شمولية المنهج: فالمنهج النبوي في التربية يشمل كل جوانب الحياة كما يشمل كل فئات المجتمع، بحيث يعالج مشكلات التربية بجميع أبعاد حياة الإنسان من ميلاده إلى وفاته، وعلاقاته مع خالقه ومع من حوله، وكما ولا يغفل الحالات المجتمعية المختلفة في السلم والحرب، ذلك أنه ص مر بمختلف الأحوال، فند من هذيه ما تهندي به كمرابي أبا وزوجا وجدا وصاحبنا ومبلغا مر بحالات الفقر والغنى والقوة والضعف، والنصر والهزيمة، فكان لنا أسوة منه في تعاملهم كل ذلك بما هو مناسب، وبهذا حرص الرسواص على تقويم أنماط متنوعة من السلوك السليبي شملت شتى مجالات الحياة واستوعبت مراحل عمرية مختلفة واستهدفت الفرد والجماعة.

ثالثا: منهج متوازن: فهو منهج يوازن بين متلبات الروح والجسد، والدنيا والآخرة، وحق الفرد والمجتمع، بشكل معتدل بحيث لا يطغى جانب على جانب، ولا يهمل جانب لحساب آخر، وبذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الغلو والتطرف حتى

¹ رواه مسلم كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي عبيدة... (٢٤١٨ - ٢٤٢٠).

² رواه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب تفرغ أبواب الوتر، ما جاء في آية الكرسي، رقم (١٤٦٠). ومسلم (٨١٠)

في العبادة، وإذا ما وجد خلل في ذلك عند الصحابه أنكره وأرشد إلى ما هو الصواب ولا أدل على ذلك من حديث الثلاثة الذين جاءوا إلى بيوت زوجات النبي ﷺ يسألون عن عبادته.

فلذلك نجد هذا المنهج يعمل على غرس العقيدة الصحيحة من خلال التربية التي تتناول حياة الفرد والجماعة روحيا وجسديا وعقليا واجتماعيا وعلميا مما لا نجد ذلك مجتمع في مناهج التربية الوضعية.

المبحث الثاني: منهج النبي (ﷺ) في تربية الصحابة على ممارسة حب الفأل ونبد الطيرة

يلاحظ أن الكلمة المرادفة للطيرة هو التشاؤم، وأغلب العلماء لا يرى فرقا بينهما في المعنى، وبذلك نجد أن اللفظين مترادفان في المعنى، متطابقان في المؤدى؛ لا فرق بينهما إلا من جهة أصل الاصطلاح¹. لذلك نجد كثيراً من العلماء يُعرفون أحدهما بالآخر.

وقد ذكر القرآن الكريم الكلمة بمعنى الشر قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١] المعنى: ألا إنما الشؤم الذي يلحقهم هو الذي وعدوا به في الآخرة لا ما ينالهم في الدنيا.... وقد تطير به، والاسم: الطيرة، والطيرة، والطورة.

وقول الله عز وجل في قصة ثمود وتشاؤمهم بنبيهم صالح عليه السلام المبعوث إليهم: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ [النمل: ٤٧] معناه: ما أصابكم من خير وشر فمن الله، وقيل: معنى قولهم: ﴿اطَّيَّرْنَا﴾: تشاءمنا وهو في الأصل "تطيرنا" فأجابهم الله تعالى فقال: ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَاتٌ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [يس: ١٩] أي: شؤمكم معكم، وهو كُفرهم.

ولا فرق عند العلماء بين الطيرة والفأل في أصل المعنى اللغوي - كما سبق في كلام الزمخشري وغيره - فكل منهما يطلق في الخير والشر، ولكن غلب في الاستعمال إطلاق الطيرة على الشر، والفأل على الخير، وعلى هذا جاء الشرع، قال الحافظ ابن حجر²: "أما الشرع فخصّ الطيرة بما يسوء، والفأل بما يسر". وقال: "ومن شروط الفأل الجائز أن لا يعتمد عليه، وأن لا يكون مقصودا، بل يتفق للإنسان ذلك من غير أن يكون له على بال".

والفرق بينهما من حيث الحكم الشرعي، ومن حيث الحكمة في جواز الفأل والنهي عن الطيرة: أن الفأل الحسن لا يخل بعقيدة الإنسان ولا بعقله، وليس فيه تعليق القلب بغير الله، بل فيه من المصلحة: النشاط والسرور، وتقوية النفوس على المطالب النافعة³.

¹ انظر بحث الطيرة والتشاؤم في الكتب الستة، (شبكة المعلومات: الانترنت)

² ابن حجر، فتح الباري ١٠/٢١٥

³ انظر: آل السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، القول السديد شرح كتاب التوحيد/ ص ١٠٦.

والفأل حسن ظن بالله تعالى، ورجاء له، وباعث على الاستعانة به، والتوكل عليه، وعلى سرور النفس وانسراح الصدر، وهو مسكن للخوف، باعث للآمال، والطيرة على النقيض من ذلك: فهي سوء ظن بالله، وتوكل على غيره، وقطع الرجاء، وتوقع للبلاء، وقنوط للنفس من الخير، وهو مذموم وباطل شرعاً وعقلاً.¹

وورد عن معنى الفأل عن رسول الله ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا طيرة، وخيرها الفأل، قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الصالحة يسميها أحدكم»².

وفي محبة النبي ﷺ للفأل ورد عن أنس رضي الله عنه عن النبي أنه قال: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح، الكلمة الحسنة»³، وفي رواية: «قالوا: وما الفأل؟ قال: الكلمة الطيبة»⁴. وعند الترمذي: "وأحب الفأل"، وعند أحمد: «الكلمة الطيبة والكلمة الصالحة»⁵. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا عدوى ولا طيرة، وأحب الفأل الصالح»⁶. وعنه كذلك: «كان النبي يعجبه الفأل الحسن، ويكره الطيرة»⁷.

وعن أبي بردة قال: أتيت عائشة فقلت: يا أمّنا! حدثيني شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ فقالت: قال رسول الله ﷺ: «الطير تجري بقدر، وكان يعجبه الفأل الحسن»⁸، ومعناه: أي بأمر الله وقضائه، وقد كانوا في الجاهلية إذا أراد الرجل سفراً، خرج فنقر الطير، فإذا ذهبت يمينا تفاعل، أو شمالاً تطير ورجع، فأخبر الشارع أن ذلك لا أثر له⁹.

مظاهر التفاؤل في أحاديث النبي ﷺ

تضمنت الأحاديث السابقة في الفأل وتشجيع النبي عليه، وجاءت أحاديث أخرى تضمنت بما كان يتفائل به صلى الله عليه وسلم وهي:

¹ انظر: الجبرين، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة، تسهيل العقيدة الإسلامية، ط 2، السعودية: دار العصيمي للنشر والتوزيع، 2004، ص 390.

² البخاري، الصحيح، كتاب الطب، باب الطيرة، 4/46، رقم (5753)، وباب الفأل رقم (5755)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، 4/1745، رقم (2223).

³ صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الفأل، (4/46) رقم (5756)، والإمام مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، 4/1745، رقم (2224).

⁴ الترمذي، سنن الترمذي، كتاب السير، باب ما جاء في الطيرة، 4/161، (1615) وقال: حديث حسن صحيح.

⁵ مسند أحمد 21/229، رقم (13633).

⁶ مسلم، صحيح مسلم، كتاب السلام باب الطيرة والفأل... 4/1746، رقم (2224)، ومسند أحمد، 16/342، رقم (10582).

⁷ ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الطب، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة، 2/1170، رقم (3536)، ومسند أحمد، 14/122، رقم (8393).

⁸ مسند أحمد (41/44)، والحاكم في المستدرک، كتاب الإيمان (1/86)، وآخرون، وقال الحاكم: قد احتج الشيخان برواة هذا الحديث عن آخرهم؛ غير يوسف بن أبي بردة، والذي عندي: أنهما لم يهملاه بجرح ولا بضعف، بل لقلّة حديثه، فإنه عزيز الحديث جداً» ومثله قال الهيثمي بمجمع الزوائد، 209/7. راجع أقوال أكثر في بحث "الأحاديث النبوية الواردة في الفأل"، عمر إبراهيم بن محمد نور سيف ص 214-2015، مجلة العدد 2، السنة الأولى، رجب 1439.

⁹ انظر: المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير، 2/123.

١- **التفاؤل بالأسماء:** وقصة الحديبية خير مثال على ذلك كما جاء في كتب السيرة والحديث ففيه أن قريشا أرسلت نفرا منهم إلى النبي ﷺ من أجل الصلح وفيه: "فقام رجل منهم يقال له مَكْرَز بن حفص، فقال: دعوني آتية، فقالوا: أئته، فلما أشرف عليهم، قال النبي ﷺ: هذا مكرز، وهو رجل فاجر، فجعل يكلم النبي ﷺ، فبينما هو يكلمه إذ جاء سُهيل بن عمرو... قال النبي ﷺ: «لقد سهل لكم في أمركم»^١ الحديث، والشاهد فيه تفاؤله ﷺ باسم (سهيل).

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ كان يُعجبه إذا خرج لحاجة أن يسمع: "يا راشد"، "يا نجيح"^٢، ومعنى (كان يعجبه) أي: يستحسنه ويتفأله به.

وعن يحيى بن سعيد أن النبي ﷺ قال لللقحة عنده: من يجلب هذه الناقة؟ فقام رجل فقال له: «ما اسمك؟ فقال له: مرة، قال: اجلس، ثم قال: من يجلب هذه الناقة؟ فقام رجل فقال له: ما اسمك؟ قال: حرب، قال: اجلس، ثم قال: من يجلب هذه الناقة؟ فقام آخر فقال: ما اسمك؟ قال: يعيش، قال: احلب»^٣.

عن بريدة أن النبي ﷺ كان لا يتطير من شيء، وكان إذا بعث عاملاً سأل عن اسمه، فإذا أعجبه اسمه فرح به ورئي بِشْرُ ذلك في وجهه، وإن كره اسمه رئي كراهية ذلك في وجهه، وإذا دخل قرية سأل عن اسمها، فإن أعجبه اسمها فرح بها ورئي بشر ذلك في وجهه، وإن كره اسمها رئي كراهية ذلك في وجهه^٤.

٢- تفاؤل النبي ﷺ مما يسمع من فم الرجل

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع كلمة فأعجبته فقال: «أخذنا فألك من فيك»^٥، وعن النبي ﷺ سمع رجلاً يقول: هاكها خضرة، فقال النبي ﷺ: «يا لبيك، نحن أخذنا فألك من فيك، أخرجوا بنا إلى خضرة»^٦ قال: فخرجوا إليها فما سل فيها سيف»^١.

^١ البخاري، الصحيح، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد، ٣٨٨/٥-٣٩٢، رقم (٢٧٣٢، ٢٧٣١)، ومسند أحمد، ٢٤٣/٣١، رقم (١٨٩٢٨)، وابن حبان في صحيحه، ٢١٦/١١.

^٢ أخرجه الترمذي في "جامعه": كتاب السير عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - باب ما جاء في الطيرة: رقم ١٦١/٤، رقم (١٦١٦). قال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب («، وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير برقم، (٤٩٧٨).

^٣ الإمام مالك، الموطأ، ١٥٢/٢، رقم (٢٠٤٩)، والطبراني، المعجم الكبير، ٧٢/٢٤، قال الهيثمي: رواه الطبراني، وإسناده حسن.

^٤ أخرجه أبو داود في "سننه": كتاب الكهانة والتطير: باب في الطيرة: برقم (٣٩٢٠). وهناك أحاديث ضعيفة في هذا الباب لمذكرها اكتفاءً بما ذكرنا.

^٥ سنن أبي داود، كتاب الطب، باب يف الطيرة، ص ٥٩٧ برقم ٣٩١٧، ومسند أحمد ١٦/١٥، رقم (٩٠٤٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٧٢٦).

^٦ قيل: إن خضرة اسم علم لخبير، وكان النبي ﷺ عزم على النهوض إليها، فتفأله بقول علي رضي الله عنه: يا خضرة فخرج إلى خبير، وقيل نادى إنساناً بهذا الاسم فتفأله ﷺ، بخضرة العيش ونضرتة. تاج العروس للزبيدي، ١٨٥/١١.

وقد ورد أن خير الطيرة الفألن مضارب بن حزن قال: قلت لأبي هريرة: هل سمعت من خليلك شيئاً تحدثني به؟ قال: نعم، سمعته يقول: «لا عدوى ولا هامة، وخير الطيرة الفأل، والعين حق»^٢.

عن عروة بن عامر رضي الله عنه قال: ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أحسنها الفأل، ولا تردُّ مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك»^٣.

التوجيه النبوي في موضوع الفأل والطيرة والحكمة منه:

دلت الأحاديث السابقة كلها عن منهج النبي صلى الله عليه وسلم في قضية الفأل والطيرة بأنه يعجبه الفأل وفسروه بالحسن والكلمة الطيبة والصالحة، وينهى عن الطيرة والتطير الذي هو التشاؤم، حتى أنه ذكر من ضمن السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب: «الذين لا يتطيرون وعلى الله يتوكلون» فقال: «هم الذين لا يتطيرون، ولا يسترقون، ولا يكتبون، وعلى ربهم يتوكلون». فقام عكاشة بن محصن فقال: أمنهم أنا يا رسول الله؟ قال: «نعم». فقام آخر فقال: أمنهم أنا؟ فقال: «سبقك بما عكاشة»^٤.

وجاء نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الطيرة في أحاديث أخرى وكيف يتصرفون إن عرض عليهم ما يتطيرون به، فعن معاوية بن حكيم رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، منا رجال يتطيرون! قال: «ذلك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدهم»^٥.
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال «الطيرة شرك، الطيرة شرك». ثلاثاً "وما منا إلا، ولكن الله يُذهب بالتوكل"^٦.

^١ الطبري في المعجم الكبير، ٢٠/١٧، والأوسط، ١٨٥/٤، وأبو نعيم في الطب النبوي ٣١٠/١، وآخرون، كلهم من طرق عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده، قال عنه الهيثمي: ضعيف جداً، وقد حسن الترمذي حديثه، وبقيته رجاله ثقات. مجمع الزوائد، ١٠٦/٥. وجاءت أحاديث أخرى في هذه الباب ولكنها ضعيفة أو منكورة.

^٢ مسند أحمد، ٢٠١٥/١٦، رقم (١٠٣٢١)، انظر في حكمه: الأحاديث النبوية الواردة في الفأل ص ٢٢٦.

^٣ أخرجه أبو داود في "سننه": كتاب الكهانة والتطير: باب في الطيرة: رقم (٣٩١٩).

^٤ أخرجه البخاري في "صحيحه": كتاب الطب: باب من لم يرق: رقم (٥٧٥٢)، وأطرافه في: كتاب الأنبياء: باب وفاة موسى وذكره بعد رقم (٣٤١٠). وفي كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب: رقم (٦٥٤١)، وأخرجه مسلم في "صحيحه": الإيمان: باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب: رقم (٥٢٧)، وأخرجه الترمذي في "جامعه": صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: باب: رقم (٢٤٤٦).

^٥ أخرجه مسلم في "صحيحه": المساجد: باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته: رقم (١١٩٩)، وأخرجه أبو داود في "سننه": كتاب الصلاة: باب تشميت العاطس في الصلاة: رقم (٩٣٠)، ووأخرجه النسائي في "المجتبى": كتاب الصلاة: الكلام في الصلاة: رقم (١٢١٩).

^٦ أخرجه أبو داود في "سننه": كتاب الكهانة والتطير: باب في الطيرة: رقم (٣٩١٠).

وأخرجه الترمذي في "جامعه": كتاب السير عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : باب ما جاء في الطيرة: رقم (١٦١٤).

وأخرجه ابن ماجه في "سننه": كتاب الطب: باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة: رقم (٣٥٣٨).

عن قبيصة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «العيافة والطيرة والطرق من الجبت». الطرق: الزجر، والعيافة: الخطأ¹.

ففي الأول ذكر أن الطيرة شئ في صدورهم لا حقيقة له، وفي الآخر قرن الطيرة بالشرك ولكنه لما كان من طبيعة البشر أن يعرض لهم فعلهم إذهابه بالتوكل على الله، وفي الخير قرنها بالعيافة والطرق، وأنها من الجبت

الحكمة من النهي عن التطير:

ولأنه من عقائد وأفعال أهل الجاهلية، بل لم يحك الله التطير إلا عن أعداء الرسل²، وكان التطير في الجاهلية له وجوه كثيرة، قال ابن القيم: وأصل هذا أنهم كانوا يزجرون الطير والوحش ويثيرونها، فما تيامن منها وأخذ ذات اليمين سمّوه سانحاً، وما تياسر منها سمّوه بارحاً، وما استقبلهم منها فهو الناطح، وما جاءهم من خلفهم سمّوه القعيد، فمن العرب من يتشاءم بالبارح ويتبرك بالسانح، ومنهم من يرى خلاف ذلك³.

وقال الحافظ ابن حجر: وليس في شيء من سنوح الطير وبروحها ما يقتضي ما اعتقدوه، وإنما هو تكلف بتعاطي ما لا أصل له؛ إذ لا نطق للطير ولا تمييز، فيستدل بفعله على مضمون معنى فيه!

وطلب العلم من غير مظانّه جهلٌ من فاعله، وقد كان بعض عقلاء الجاهلية يُنكر التطير ويتمدّح بتركه.... وكان أكثرهم يتطيرون، ويعتمدون على ذلك، ويصح معهم غالباً؛ لتزيين الشيطان ذلك، وبقيت من ذلك بقايا في كثير من المسلمين⁴.

والتطير هو ناتج من سوء ظن العبد بربه، فيقابله الله تعالى على سوء ظنه بأن يصيبه ما تطير منه، قال الإمام القرافي الذي يعد التطير مرض: ولا يكاد المتطير يسلم مما تطير منه إذا فعله، وغيره لا يصيبه منه بأس!، وهو ما يضاد التوجيه

1 أخرجه أبو داود في "سننه": كتاب الكهانة والتطير: باب في الخط وزجر الطير: برقم (٣٩٠٧).

2 ابن قيم الجوزية (٧٥١)، مفتاح دار السعادة " ٢٧٣/٣.

وذكر قوله تعالى: ﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ أَلَيْسَ دُرُوتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [يس: ١٨، ١٩]، وكذلك حكى الله سبحانه عن قوم فرعون: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١].

3 ابن قيم الجوزية (٧٥١)، مفتاح دار السعادة، ٢٦٨/٣.

4 فتح الباري " ٣٧٣/١١ - ٣٧٤.

النبي بحسن الظن بالله في قوله ﷺ حكاية عن الله تعالى: «أنا عند ظنّ عبدي بي؛ فليظنّ بي ما شاء»^١، وفي بعض الطرق «فليظنّ بي خيراً»^٢.

وإن المتطير "يصير قلبه متعلقاً بغير الله عبادة وتوكلاً، فيفسد عليه قلبه وإيمانه وحاله، ويبقى هدفاً لسهام الطيرة، ويساق إليه من كل أوب، ويقبض له الشيطان من ذلك ما يفسد عليه دينه ودنياه، وكم هلك بذلك وخسر الدنيا والآخرة، فأين هذا من الفأل الصالح السار للقلوب، المؤيد للآمال، الفاتح باب الرجاء، المسكن للخوف، الرابط للجأش، الباعث على الاستعانة بالله، والتوكل عليه، والاستبشار المقوي لأمله، السار لنفسه؟ فهذا ضد الطيرة، فالفأل يفضي بصاحبه إلى الطاعة والتوحيد، والطيرة تفضي بصاحبها إلى المعصية والشرك، فلهذا استحب - صلى الله عليه وسلم - الفأل، وأبطل الطيرة"^٣.

معالجة التطير وفق المنهج النبوي

هناك وسائل لعلاج التطير والتشاؤم منها:

١ - **حسن الظن بالله والتوكل عليه:** ذلك بأن يتعاهد المسلم يقينه بأن الأمر كله لله، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن الله تعالى هو وحده الضار النافع، والمعطي المانع، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وبعد هذا يعتمد قلبه على ربه في تحقيق ما يجب، ودفع ما يكره، مع الأخذ المطلوب بالأسباب المعتبرة شرعاً.
هذا وإن المسلم متى علق قلبه بغير الله سبحانه فقد أخطأ خطأ فاحشاً، فإذا توكل على غير الله - عز وجل - وتعلق به وُكِل إليه، وفي حديث عبد الله بن مسعود عن رسول الله - ﷺ - قال: «الطيرة شرك، الطيرة شرك» ثلاثاً، "وما منا، إلا ولكن الله يُذهبه بالتوكل"^٤.

٢ - المضي في أمره وعدم التأثر بخاطر الطيرة:

قوله - صلى الله عليه وسلم - : «ولكن الله يُذهبه بالتوكل» معناه: أنه إذا خطر له عارضُ التطير فتوكل على الله وسلم إليه ولم يعملْ بذلك الخاطر غفره الله له ولم يؤاخذْه به^٥.

^١ أخرجه الإمام أحمد في "المسند" برقم (١٦٠١٦) من حديث وثالة بن الأسقع ﷺ ودون "فليظن بي ما شاء" صدر حديث قدسي شريف أخرجه البخاري في "صحيحه" (٧٤٠٥)، ومسلم (٦٨٠٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

^٢ لم أجده بهذا اللفظ على شهرته، وكثرة إيراد المصنفين له، والله أعلم. وأقرب ما وجدته من هذا اللفظ ما أخرجه الإمام أحمد في "المسند" برقم (٩٠٧٦) من حديث أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ: أن الله عز وجل قال: "أنا عند ظنّ عبدي بي، إن ظن بي خيراً، فله وإن ظن شراً فله".

^٣ ابن قيم الجوزية (٧٥١)، مفتاح دار السعادة "٣/٣١٢.

^٤ بحث الطيرة والتشاؤم في الكتب الستة (الانترنت)

^٥ سبق تخريجه

^٦ ابن الأثير الجزري (٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣/١٥٢.

في حديث الفضل بن عباس - رضي الله عنه - تصريح بهذا المعنى قال: خرجت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوماً، فبرح طيِّراً فمال في شقِّه، فاحتضنته، فقلتُ: يا رسول الله تطيِّرتُ؟ قال: «إنما الطيرةُ ما أمضاك أو ردَّك»^١.

وقال عكرمة: كنتُ عند ابن عباس رضي الله عنه فمرَّ طائرٌ يصيح؛ فقال رجلٌ من القوم: خيرٌ! خيرٌ!. فقال ابن عباس: ما عند هذا لا خيرٌ ولا شرٌّ^٢.

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ثلاثةٌ لا يسلمُ منها أحدٌ: الطيرةُ والحسدُ والظنُّ» قيل: فمانصنعُ؟ قال: «إذا تطيَّرتُ فأمض، وإذا حسدتُ فلا تبغ، وإذا ظننتُ فلا تُصحح»^٣.

قال ابن مفلح المقدسي: معناه أن الطيرة شيءٌ تجدونهُ في نفوسكم ضرورةً، ولا تكليفَ به، لكن لا تمنعوا بسببه من التصرف؛ لأنه مكتسبٌ، فيقع به التكليف^٤.

وقد كان العرب قبل الإسلام يتشاءمون بشهر شوال، ولا سيما في النكاح، فلفنت عائشة - رضي الله عنها - أصحاب هذا الوهم درساً عملياً عندما بينت أن النبي صلى الله عليه وسلم عقَّد عليها في شهر شوال، وبني بها في شوال، ثم قالت: أيُّكنَّ كان أحظى عنده مني؟^٥ والجواب: لا أحد.

- الإتيان بالكفارة: وهي قول ما ورد مما أخرجه الإمام أحمد عنه - صلى الله عليه وسلم - قال: «من ردَّته الطيرة عن حاجته فقد أشرك»، قالوا: وما كفارة ذلك؟ قال: «أن تقول: اللهم لا خيرَ إلا خيرُك، ولا طيرَ إلا طيرُك، ولا إلهَ غيرُك»^٦.

- التفاوض

والتفاوض في مقابل التشاؤم: قال الإمام النووي: قال العلماء: الفأل يكون فيما يسوء وفيما يسرُّ، والغالب في السرور، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، قالوا: وقد يُستعمل مجازاً في السرور^٧.

ونقل عن الإمام الطيبي: معنى الترخص في الفأل، والمنع من الطيرة هو أن الشخص لو رأى شيئاً، فظنه حسناً محرضاً على طلب حاجته فليفعل ذلك، وإن رآه بضد ذلك فلا يقبله، بل يمضي لسبيله، فلو قبل وانتهى عن المضي فهو الطيرة التي اختُصت بأن تُستعمل في الشؤم^٨.

^١ أخرجه الإمام أحمد في "المسند" برقم (١٨٢٤).

^٢ نقله الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" ٣٧٦/١١، وعزاه إلى الطبري، ولم أجده، والله أعلم.

^٣ أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٣٢٢٧) من حديث حارثة بن النعمان - رضي الله عنه - قال الحافظ الهيثمي في "مجمع الزوائد" برقم (١٣٠٤٦): رواه الطبراني،

وفيه إسماعيل بن قيس الأنصاري، وهو ضعيف

^٤ ابن مفلح المقدسي، الآداب الشرعية" ص ٧٨٣.

^٥ أخرجه مسلم في كتاب النكاح" برقم (٣٤٨٣).

^٦ أخرجه الإمام أحمد في "المسند" برقم (٧٠٤٥) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

^٧ شرح صحيح مسلم" ٢٢٦١/٤.

^٨ نقله الحافظ ابن حجر في "فتح الباري" ٣٧٦/١١.

أقوال العلماء في حكم التطير

اتفق أهل التوحيد على تحريم التطير، ونفي تأثيره في حدوث الخير أو الشر، لما في ذلك من الإشراك بالله في تدبير الأمور، والنصوص في النهي عن ذلك كثيرة -وتعده من الشرك- قد ذكرت بعضها. ذهب بعض الحنابلة إلى كراهة التشاؤم والطيبة دون الفأل، وقال ابن مفلح: إنه قول غير واحد من الأصحاب، وقال: الأولى القطع بتحريمها، ولعل مرادهم بالكراهة التحريم¹. وعدّ الهيثمي ترك السفر، والرجوع منه تطيراً كبيراً الحادية بعد المئة في الزواجر عن اقتراف الكبائر².

وجاء في الموسوعة الفقهية الكويتية: إن اعتقد المكلف أن الذي شاهده من حال الطير مُوجِبٌ لِمَا ظَنَّهُ، مؤثِّرٌ فيه، فقد كفر؛ لِمَا في ذلك من التشريك في تدبير الأمور. أما إذا علم أن الله سبحانه وتعالى هو المتصرف والمدبر وحده، ولكنه في نفسه يجد شيئاً من الخوف من الشر؛ لأن التجارب عنده قضت أن صوتاً من أصوات الطير، أو حالاً من حالاته يرادفه مكروهه، فإن وُطِنَ نفسه على ذلك فقد أساء، وإن استعاذ بالله من الشرِّ، وسأله الخير، ومضى متوكِّلاً على الله، فلا يضرُّه ما وجد في نفسه من ذلك، وإلا فيؤاخذ؛ لحديث معاوية بن حكيم رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، منا رجال يتطيرون! قال صلى الله عليه وسلم: "ذلك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدهم"³.

نتائج البحث

عالج البحث الموضوع في تمهيد ومحورين وضح الأول سمات المنهج النبوي التربوي في التربية النفسية عامة، والفرق بينه وبين المناهج الوضعية. وبين الثاني منهج النبي صلى الله عليه وسلم في تربية الصحابة على ممارسة حب الفأل ونبذ الطيرة. وتوصل البحث إلى النتائج الآتية:

- 1- جاءت مفاهيم التربية النبوية شاملة لكل مجالات الحياة، ولعموم الناس مع مراعاتها للمراحل العمرية للإنسان، ومنها التربية النفسية. وضح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الفأل هو الكلمة الطيبة الحسنة الصالحة، وأنه كان يحب الفأل، ويكره الطيرة، وأنه كان يتفاءل بالأسماء وبما يسمعه من كلام حسن.
- 2- المنهج النبوي في التربية يقوم على مبدأ العقيدة والإيمان بالله، واليسر والاعتدال، بالحكمة والموعظة الحسنة، يخاطب العقل والوجدان، ويدعوه إلى التأمل والإقناع، مستفيداً من الأحداث في التوجيه. وهو رباني، موافق للفطرة، مناسب لواقع البشر، يعالج قضاياهم انطلاقاً من طبيعتهم، ويبرز مكونات الإنسان الإيجابية ليتحول إلى طاقة إيجابية عاملة، منتجة توازن بين متطلبات الدنيا والآخرة.

¹ يُنظر: "الآداب الشرعية" لابن مفلح المقدسي ص 782-783.

² ابن حجر الهيتمي، شهاب الدين أحمد (974هـ)، الزواجر عن اقتراف الكبائر " 2/ 106.

³ سبق تحريجه يراجع.

٤ - الفأل والطيرة يرتبطان بإشكالية عقديّة ونفسية لدى بعض الناس ممن لم ترسخ في العلم أقدائهم، ولم تتنوّر بحقائق الإيمان قلوبهم؛ تجعلهم يربطون بين أسباب غير معتبرة عقلاً وشرعاً وبين شرّ وضرر يتوهمونه. والتفأول يجعل الإنسان إيجابياً متفاعلاً مع الحياة مقبلاً عليها، ونهى النبي ﷺ عن التطير، بل حرّمه لما يوقع في القلب من فساد العقيدة.

٥ - الفأل حسن الظن بالله، يبعث على صدق التوكل به ويؤثر في انشراح الصدر والسرور، والسكن والطمأنينة والاستقرار الروحي، وتجديد الآمال، وبعكسه التطير والتشاؤم الذي يؤدي إلى ضيق الصدر والوسواس المثبط للعمل والأمل. وعالجت الأحاديث النبوية الظاهرة الجاهلية بضبط المشاعر والانفعالات النفسية، وتقوية الإيمان بالله وقدره، وحسن الظن وصدق التوكل عليه. وبجابه الإسلام الظواهر السلبية، مع تقديم العلاج للقضاء على آثارها، فضلاً عن الوقاية منها، فالإسلام حرّم التطير وحثّ على التفأول، وذلك بحسن الصلة بالله، والقيام بما أمر وحثّ الشرع عليه.

ويوصي البحث بما يأتي:

* ضرورة نشر الأحاديث الصحيحة المتعلقة بالفأل والطيرة، وبيان أهميتها على المستوى الفردي والجماعي، وخصوصاً لأنها من الموضوعات الواقعية في حياة الناس على اختلاف مستوياتهم، وذات خطر على العقيدة والصحة النفسية.

* ترسيخ مبادئ التربية النبوية ومنها النفسية المرتبطة بالجانب الروحي والسلوك الإسلامي لدى فئات المجتمع، ودمج هذه المبادئ ضمن مقررات المدارس والجامعات.

المصادر والمراجع

ابن العربي، مُحمّد بن عبد الله أبو بكر المالكي (٥٤٣هـ)، أحكام القرآن، تحقيق: مُحمّد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

ابن تيمية (٧٢٨هـ)، مجموع الفتاوى، اعتنى بها وخرج أحاديثها: عامر الجزار و أنور الباز، ط٣ المنصورة: دار الوفاء، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله ابن باز، ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن مُحمّد القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، الدمام: دار ابن الجوزي، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

ابن قيم الجوزية (٧٥١هـ)، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، قدم له وضبط نصه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، راجعه: فضيلة الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد. الحُبر. ط١: دار ابن عفان، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

- ابن ماجه، أبي عبد الله محمد بن يزيد الربيعي (٢٧٥ هـ)، سنن ابن ماجه، مراجعة: الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ. الرياض. ط ١: دار السلام ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم (٧١١هـ)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير و محمد أحمد حسب الله و هاشم محمد الشاذلي، مصر: دار المعارف، (د.ت).
- أبو داود السجستاني (٢٧٥ هـ)، سنن أبي داود، مراجعة: الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دمشق: دار الفيحاء، الرياض. ط ١: دار السلام ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- أبو لبابة حسين، الترتيب في السنة النبوية، الرياض: دار اللواء للنشر والتوزيع (د.ت).
- أحمد ابن حنبل (٢٤١ هـ)، المسند، الموسوعة الحديثية. المشرف العام على إصدار الموسوعة: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.
- أحمد عزت، أصول علم النفس، ط ١، الاسكندرية: المكتب المصري، ١٩٨٢م
- آل سعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت: ١٣٧٦هـ)، القول السديد شرح كتاب التوحيد، المملكة العربية السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢١هـ
- البخاري/ محمد بن اسماعيل (ت: ٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، مؤسسة بيروت. ط ١: الرسالة ناشرون ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م. بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة (٢٧٩ هـ)، سنن لترمذي، مراجعة: الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دمشق: دار الفيحاء، الرياض. ط ١: دار السلام ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- الجبرين، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة، تسهيل العقيدة الإسلامية، ط ٢، السعودية: دار العصيمي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٤.
- الجزري، مجد الدين ابن الأثير (٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمود أحمد الطناحي و طاهر أحمد الزواوي، بيروت: مؤسسة التاريخ العربي و دار إحياء التراث العربي.
- الجوهري، أبو نصر اسماعيل بن حماد، (ت ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: إميل يعقوب و محمد طريقي، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٠/١٩٩٩م.
- الطبراني، أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، (٣٦٠ هـ)، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، و عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، القاهرة: دار الحرمين ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- الطبراني، أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب، (٣٦٠ هـ)، المعجم الكبير، حققه وخرّج أحاديثه: حمدي عبد المجيد. دار إحياء التراث العربي: ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦م.
- عثمان حسن ملا، تربية الإنسان المسلم، القاهرة: دار الصحوة ١٩٨٤م،

- الخطار، عبد الخالق، النفوس المطمئنة الزكية، والنفوس الشيطانية الأمانة الشريفة الشقية في ضوء القرآن والسنة، القاهرة: جمعية السلام الإسلامية، ١٩٩١م،
- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط٢، مصطفى الحلبي، ١٣٧١هـ، ٣٣٤/٤.
- القراي، شهاب الدين أحمد بن إدريس (٦٨٤ هـ)، كتاب الفروق (أنوار البروق في أنواع الفروق)، دراسة وتحقيق: مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية: أ.د. محمد أحمد سراج، أ.د. علي جمعة محمد. القاهرة. ط١: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٤٢١ هـ/٢٠٠١م.
- القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر (٦٥٦ هـ)، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق: محيي الدين ديب مستو، يوسف علي بدوي، أحمد محمد السيد، محمود إبراهيم بزّال، دمشق بيروت: دار ابن كثير ودار الكلم الطيب ١٤١٧ هـ/١٩٩٦م.
- القرطبي، أبو عبد الله (٦٧١ هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بيروت. ط١: مؤسسة الرسالة ١٤٢٧ هـ/٢٠٠٦م.
- مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩ هـ)، موطأ مالك، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، أبو ظبي - الإمارات: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، جمهورية مصر العربية: الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث. ط٤: ١٤٢٥ هـ/٢٠٠٤م. مكتبة الشروق الدولية.
- مجمع اللغة، معجم ألفاظ القرآن الكريم، القاهرة: مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٠ هـ، ٣٧٥/٢، ط٢
- محمد أمزون، منهج النبي ﷺ في الدعوة من خلال السيرة الصحيحة، ط٥ مصر: دار السلام، ١٤٣١-٢٠١٠
- مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٦١ هـ)، صحيح مسلم "الرياض: مكتبة دار السلام، ط٢ دمشق: دار الفيحاء ١٤٢١ هـ/٢٠٠٠م.
- المقدسي، محمد بن مفلح (٧٦٣ هـ)، الآداب الشرعية، اعتنى به: ماهر ثملوي و علي محمد زينو، بيروت. ط١: مؤسسة الرسالة ناشرون ١٤٢٦ هـ/٢٠٠٥م.
- المنائي، محمد عبد الرؤوف (١٠٣١ هـ)، التيسير بشرح الجامع الصغير، القاهرة: المطبعة المصرية، ١٢٨٦ هـ.
- المنائي، محمد عبد الرؤوف (١٠٣١ هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، بيروت. ط٢: دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٩١ هـ/١٩٧٢م.
- المنائي، محمد عبد الرؤوف (١٠٣١ هـ)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، بيروت. ط٢: دار المعرفة للطباعة والنشر ١٣٩١ هـ/١٩٧٢م.
- الموسوعة الفقهية، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، ط٢: ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ)، السنن الكبرى، قدم له: د. عبد بن عبد المحسن التركي. أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي؛ بمساعدة مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت. ط ١: مؤسسة الرسالة ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ)، سنن النسائي الصغرى، مراجعة: الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ. دمشق: دار الفيحاء، الرياض. ط ١: دار السلام ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

النووي، شرح صحيح مسلم (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق وتعليق: د. مصطفى ديب البغا، ط ١ دمشق: دار العلوم الإنسانية ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

الهيتمي، شهاب الدين أحمد بن حجر (٩٧٤هـ)، الزواجر عن اقتراف الكبائر، بولاق: المطبعة المصرية ١٢٨٤هـ.

مجلات

الدحيم، إبراهيم بن صالح، أساليب نبوية في التربية، مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن دار العلوم ديوبند، محرم - صفر ١٤٣٧هـ، أكتوبر/ديسمبر ٢٠١٥م، العدد: ١ - ٢، السنة: ٤٠.

عمر بن إبراهيم بن محمد نور سيف، الأحاديث النبوية الواردة في الفأل جمعاً ودراسة، مجلة تعظيم الزحيين، العدد الثاني، رجب ١٤٣٩هـ.

رسائل علمية

الشهري، عزة بنت عابس بن محمد، مبادئ التربية النفسية في القرآن الكريم، رسالة دكتوراه في التربية، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، سنة ٢٠١٥م

الصيفي، رمضان يوسف عبد الهادي، منهج القرآن في التعامل مع جرائم اليهود، رسالة ماجستير كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠٠٩م

محمد حسين أحمد، الأحاديث الواردة في الصحة النفسية، جمعاً وتصنيفاً ودراسة، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، قسم الحديث النبوي الشريف، ٢٠٠٢م.

شبكة الانترنت:

زكية مازغ، المنهج التربوي النبوي في السنة والسيرة النبوية، موقع مغرس.

علي محمد زينو، الطيرة والتشاؤم في الكتب الستة، بحث حديث موضوعي، (شبكة المعلومات: الانترنت)

رابط الموضوع: <https://www.alukah.net/sharia/0/47135/#ixzz5XqvQt7xo>